الباب الثانى

شخصية أبى تمام وأسرته

١ — شخصية أبى تمام

كان أبو تمام طويل القامة، أسمر اللون، فيه تمتمة يسيرة؛ "فإذا أنشد استوى لسانه، وكان لفظه لفظ أعراب"[1]. ويصفه رجل رآه فى مجلس خالد بن يزيد بن مَزْيَد الشيبانى "بأنه: رجل حسن الحديث، أعجبنى جدا"... ويقول عنه خالد: ما رأيت أحسن بيانا منه، ولا أفصح لسانا.

وكان أجش الصوت شيئا، كثير الفكاهة، خفيف الروح، كما يقول هو عن نفسه؛ يدعو رجلا للشراب على مائدته معروفا بخفة الرأس، ممن تطيح بعقولهم أول كأس، فيقول له: "إن أردت أن تنام عندنا الليلة فتعالَ"[2]. شديد الذكاء، لا تكاد تبدؤه الحديث حتى يفهم ما تريده، كأنما كان على علم به. قوى العقل، يقول فيه كاتب من كتّاب الحسن بن رجاء: رأيت فيه رجلا علمه وعقله فوق شعره. وكان البحترى يقول عنه لعلى بن إسماعيل النَّوْبَختى: والله يا أبا الحسن لو رأيت أبا تمام الطائى، لرأيت أكمل الناس عقلا وأدبا؛ وعلمت أن أقل شىء فيه شعره[3]، صافى القريحة، جم الأدب غزيره، حتى ليتهيأ له أن يقول:

مَنْ لى بإنسانٍ إذا أغضبتُهُ ... وجهلت كان الحلم ردّ جوابِهِ
وإذا طربتُ إلى المدامِ شربتُ مِن ... أخلاقه وسكِرتُ مِن آدابِهِ
وتراه يُصغِى للحديثِ بقلبِهِ ... وبسمعِهِ ولعلّه أدرى بِهِ

وكان سهل الخلق، رضىّ النفس، مرهَف الحس، يحزن فيسرع إليه اليأس، ويبكى فيذوب دموعا؛ ليس فيه شىء من ذلك الجمود عن الحياة، أو التعالى عليها، ذلك التعالى الذى تضيق به النفس. ليس من عبيد الحياة، الذين يتمرغون فى حمأتها ثم يدّعون أنهم سادتها، ولكنه كالناس

---

(١) أوراق ملحقة بشرح التبريزى لديوان أبى تمام (مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش).

(٢) الصولى: كتاب أخبار أبى تمام، صورة مخطوطة بمكتبة جامعة فؤاد الأول، الورقة ٧٩

(٣) المصدر نفسه، الورقة ٣٤

جميعا، يعبد الحياة، ويتغنى بعبادتها، فإذا هزم لم يصخب كما يصخب تلميذه المتنبي. وإنما يستقبل الحياة بعد أن تذهب عنه سَوْرة اليأس الأولى، فى رضى بما فيها، وقناعة بما تنيله من عطائها، قل أو كثر.

فَقَنَّعنِي يأسى وأعلم أننى ... مَقُودٌ بحبل للقادير مُدْمَجَ

فإذا سخر من الدهر وتصاريفه، لم يسخر منه سخرية الغاضب الحنِق، ولكن سخرية الضاحك الهازئ، الذى يأخذ الحياة أخذا سهلا هونا:

فلو ذهبَتْ سِناتُ الدهرِ عنه ... وأُلْقِيَ عن مَناكبه الدثارُ
لَعَدَّل قِسمة الأيام فينا ... ولكن دهرُنا هذا حِمارُ

وهو كريم جواد. يقول الصولى: حدّثنى محمد بن سعيد أبو بكر بن الأهتم قال: حدّثنى أحمد بن أبى فَنَن، قال: حضرت أبا تمام وقد وُصل بمائتى دينار، فدفع إلى رجل عنده منها مائة، وقال: خذها. ثم قيل لى: إنه صديق له. واستبنت منه خَلّة، فعذلته على إعطائه ما أعطى، وقلت: لو كان شقيقك ما عذرتك مع اضطراب حالك، فقال:

ذُو الوُدّ منى وذو القُرْبى بمنزلة ... وإخوتى أُسوةٌ عندى وإخوانى
عِصابة جاورتْ آدابهم أدبى ... فهم وإنْ فُرِّقوا فى الأرض جيرانى
أرواحُنا فى مكان واحد وغدتْ ... أجسامنا بَشآمٍ أو خُراسانِ

والأبيات تبين عن رأيه فى الصديق والصداقة.

وكان مسرفا. يَروى الصولى[1] أن رجلا من إخوان أبى تمام قدم عليه، وكان قد بلغه أنه قد أفاد وأثرى، فجاءه يستمنحه، فقال له أبو تمام: لو جمعتُ ما آخذ ما احتجتُ إلى أحد، ولكنى آخذ وأنفق، وسأحتال لك. فكتب إلى أبى سعيد: (محمد بن يوسف الثغرى) بقصيدة منها:

لا زلْتَ من شكرىَ فى حُلةٍ ... لابسُها ذُو سَلَبٍ فاخرِ
يقول مَن تقرع أسماعَه: ... كَمْ ترك الأولُ للآخر
لى صاحبٌ قد كان لى مُؤنِسا ... ومألَفا فى الزمن الغابر
يحتلبُ الدهرَ أفاويقَه ... ويخلط الحلو مع الحازر
حتى إذا رَوْضِى تغنّى به ... ذبابُه فى مُونِقٍ زاهر

(١) كتاب أخبار أبى تمام، الورقة ١١١

ألفَحَ بالعـزم أمانيَّـهُ بعـدَ اعتناق الهمّة العاقـر
تحملُ منـه العيسُ أعجوبةً تجـدّد السُّخرىّ للساخر
ذا ثروة يطلب مِنْ سائل ومُفْحَما يأخذ من شاعـر
فصادفَتْ مالى بإقبالِه منيَّةً من أمل عاثـر
فشارِك المقمـورَ فيـه ولا تكنْ شريك الرجل القامر
فرِفـدُكَ الزائرَ مجـدٌ ولا كرفدِكَ الزائرَ للزائـر

ويشغف بالجمال ويتعشقه، فى الطبيعة، وفى الطير، حتى لكأنه يفهم حديثها :

ساقٌ على ساقٍ دعا قُمْـرِيَّة فدعتْ تُقاسمه الهوى وتَصيدُ
يَتساقيان بريقِ هـذا هـذه مَجْعا وذاك بريق تلك مُعيد

ويبكى لبكاء الحمائم، فينهنه نفسه عن هذا البكاء :

لا تَشجَيَنَّ لها فإن بكاءها ضَحِك وإنَّ بكاءك آستغرامُ

يستقبل حياته فى غير تزمُّت المتديّنين؛ فهو آبن عصره المترف الناعم؛ يسرف، فى غير اهتمام لما ستأتى به الأيام. روى الصولى[1] : "خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيد والى إرمينية، فامتدحه، فأمر له بعشرة آلاف درهم، ونفقة لسفره، وأمره ألا يقيم إن كان عازما على الخروج. فودعه، ومضت أيام، فركب خالد ليتصيد، فرآه وقدامه زُكرة فيها نبيذ، وغلام بيده طُنبور. فقال : حبيب ؟ قال : خادمك وعبدك. قال : ما فعل المال ؟ فقال :

علّمنى جودُك السماحَ فما أبقيتُ شيئا لدىّ من صِلتِك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى، فأخذها.

وإن فى هذه القصة، وفى هذا المزاج الشعرى فى آنتقاء المكان تحت الشجرة ما يستحضر فى الذهن أبيات عمر الخيام الشاعر الفارسى :

وآخُذُ بى نحسو شرابا عُتّقا ثم نلهو بنشيد مُمْقِعا
ورغيف تحت ظل أشرقا وآشدُ بالألحان يرتد الحلا

* جنة راق بها الحسنُ وراع *

(١) المصدر نفسه الورقة ٧٢

وقد يسوق هذا إلى الظن أن أبا تمام كان من أصحاب الغلمان ، ولكن هذا ما لا تدل عليه حياة أبي تمام ولا شعره ، وإن ما فيه من ذلك قريب أن يكون من باب طرق فنون شعرية طرقها معاصروه ، فعز عليه ألا يقول فيها ، فقال ؛ وكان ما قاله قليلا جدا ، فهو لا يرضى أن يُتَّهم في غلامه ، فيدفع ذلك دفعا لا تجد إليه التهمة سبيلا . وفي الصولي :

"روى مسعود بن عيسى قال : حدثني غلام أبي تمام ، المنشد كان لشعر أبي تمام ، وكان حسن الوجه ، قال : دخل أبو تمام على الحسن بن وهب وأنا معه ، وعلى رأسه جارية ظريفة ، فأومأ إليها الحسن ، يغريها بأبي تمام ، فقالت :

يا ابنَ أوسٍ أشبهتَ في الفسقِ أوسا ... واتخذت الغلامَ إلفا وعرسا

فقال أبو تمام :

أبرقتِ لي إذ ليس لي بَرْقُ ... فتزحزحي ما عندنا عِشْقُ

ما كنت أفسقُ والشبابُ أخي ... أحين شبت يجوز لي الفسقُ

لي همة عن ذاك تردعني ... ومركّب ما خانه عِرْقُ

ولكنه وَلوع بالنساء ، يتعشقهن في كل مكان نزله ، ويستفتح معظم قصائده بغزلهن . ينزل مصر فيحب ، ويخرج من الشام إلى مصر طاعةً لجيرة ، ويسير إلى خراسان ، فينزل أَبَرْشَهْر ، فيسمع وهو سائر صوت مغنية تغني بالفارسية ، فيحبها ، ويتولّه في حبها ، ويلازمها ، حتى لتسمع قوما يقولون إن طول ملازمته لها قد حطت قدره عند عبد الله ابن طاهر ، فكان أن غضب عليه . وهو حضري بمعنى الكلمة ، يحب اللهو ، ويغرم بعيش المدن الصاخب . وإن ممدوحه مالك ابن طوق يأخذه معه إلى بَاعَيْنَاثا ، وهي قرية على الفرات صغيرة ، ليس بها ملاهي المدن ، فيصرخ به ضجرا بعيشها ، ونقص لذائذها :

يا مالكَ ابنَ المالكين أرى الذي ... كنا نؤمل من غيابك رَانَا

لولا اعتمادُك كنتُ في مَنْدوحةٍ ... عن بَرْقَعِيدَ وأرض باعَيْنَاثَا

والكاظمية لم تكن لي موطنا ... ومقابرُ اللذات من قَبْرَانَا

لم آتِها من أيّ وجه جئتُها ... إلا حسبتُ بيوتها أجداثَا

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَلٌ ... أعني الحطيئةَ لاغتدى حَرّاثَا

تَصْدا بها الأفهامُ بعد صِقالها ... وترد ذُكْرانَ العقول إناثَا

أرض خلعتُ اللهوَ خامي خاتمي ... فيها وطلقتُ السرورَ ثلاثَا

* * *

إلى جانب هذه الحياة اللاهية فى غير حمق، نجد أبا تمام المترفع الوقور، الذى ينثر عليه عبد الله ابن طاهر ألف دينار، فلا يمد يده إلى واحد منها . ووقاره هذا هو الذى كان يدفع بممدوحيه إلى احترامه، وحبه، وإقامة ما بينه وبينهم على أساس الصداقة والصحبة؛ حتى لنجد ممدوحا له كابن الزيات الوزير يرثيه بعد موته إبان وزارته، وكذلك الحسن بن رجاء . ولقد رأينا من قبل هذا رأيه فى الصداقة، وكان أصدقاؤه يعرفون له هذا الشعور من ناحيتهم، فكانوا يحبونه حبا صادقا، نراه فى فورة غضب علىّ بن الجهم على دِعبل، لما ذُكر فى مجلسه فلعنه، فسئل عن ذلك، فقال : لقد كان يطعُن على أبى تمام، ويكذب عليه . ونراه فى حديث أصدقائه جميعا عنه بعد موته، وثنائهم عليه .

* * *

ثم هو قاسٍ على أعدائه، شديد النقمة عليهم، ولكنه رحيم بأصدقائه، شديد الحب لهم، ويتلخص مذهبه من هؤلاء وهؤلاء فى قوله :

لِينْ على عدوٍّ مِن عدو إنما يعفو ويصفحُ صاحبٌ عن صاحبِ

يرى عَمّورية تحترق فيهتف :

ما ربعُ مَيّةَ معمورا يُطيفُ به غَيلانُ أبهى ربًا مِن رَبعها الخرِبِ
ولا الخدودُ وإن أُدمِين مِن خجلٍ أشهى إلى ناظرِى مِن خدّها التربِ

ويحتاج صديقه فيعطيه، وهو فى حاجة إلى ما يعطى . فإذا سئل قال :

ذو الوُدّ مِنّى وذو القربَى بمنزلةٍ وإخوتِى أُسْوة عندى وإخوانى

ويُصلب الأفشين، ويحرق جسده، فيقول :

يا مَشْهدا صدرتْ بفرحته إلى أمصارها القُصْوَى بنو الأمصار

ويموت ابنه فيقول :

كان الذى خِفتُ أن يكونا إنا إلى الله راجعونا
أمسى المرجّى أبو علىّ مُوَسّدا فى الثرى دفينا
حين انتهى واستوى شبابا وحَقّق الرأى والظنونا
أُصِبْتُ فيهِ وكان عندِى على المصيبات أَنْ يُعينا

كنت عزيزا به كثيرا وكنت صَبًّا به حنينا
دافعتُ إلّا المنونَ عنه والمرء لا يَدْفعُ المنونا
... ... الأبيات

* * *

وكان أبو تمام أنيقا فى ملبسه . نزل بغداد أول ما نزلها وعليه ثياب أعرابى ؛ فلما أن غنِيَ وأصاب دنيا ، أخذ يرتدى من الحرير :

قَصَبِيًّا تسترجف الريح مَتْنَيه بأمرٍ من الهُبوبِ مُطاعِ

ويختار الفرو الناعم ، والمركب الفاره والعبيد . يتبعه إلى البصرة فى نزوله بها مرة أربعة وعشرون فتى ، ويستقبله حين يقرب منها شعراؤها وأدباؤها .

* * *

وهو كثير الرحلة ، لا يكاد يستقر فى مكان ، كبير المُخيِّلة مما أكسبه تنقلُه . يستمد استعاراته وتشبيهاته من دنيا واسعة ، كثيرة الصور ، مزدحمة بها ، حتى إن كثرتها ، وتحزيه إياها ، يزيد أسلوبه تعقدا ، ويخرجه مخرج التكلف ؛ يقول :

أنبطتَ فى قلبى لرأيك مَشْرعا ظلّتْ تحوم عليه طير رجائى

فيرسم لك فى قلبه نبعا متفجرا وطيورا حائمة عليه .

* * *

وهو بهذه المخيلة الضخمة المتعددة النواحى ، يجوب البلاد طولا وعرضا ، من مشرقها إلى مغربها ، يقول شعره بصوته الأجش المتقطع أول الأمر ، ثم يجو بها ومعه غلامه ثانية ، وهو غلام حسن الصوت ، جميل الخلقة ، يقول شعره عنه فى حضرة ممدوحيه ، وهم يستقبلون وفادته بالإكرام والترحيب . فإذا أنس من أحدهم جفوة ، أو أحس إغضاء ، أخذ يعاتبه ، فإن اعتدل فيها و إلا هجاه . وقلما يفلح فى هذا الهجاء .

٢ — أسرة أبى تمام

لا يذكر الصولى من أسرة أبى تمام إلا اثنين : سهم ، وهو أخو أبى تمام ، ويقول عنه الصولى إنه كان يقول الشعر ، ويذكر من شعره :

ونازعتُه شيئا إليه مبغّضا فلما رأى وجدى به صار يعشَقُهْ
فدَعْهُ ولا تحزنْ على فائز به فإنّ جديداتِ اللّيالى ستُخْلِقُهْ

وبين هذا الشعر وشعر أبى تمام أخوّةٌ تدرك فى الروح ، وفى الفكرة ، وفى البديع .

و يقول الصولى عنه إنه جاء مرة إلى أبى تمام يستميحه، فقال له : والله لا يفضل عنى شىء، ولكنى أحتال لك . فكتب إلى يحيى بن عبد الله بقصيدة أولها :

إحْدَى بنى بَكْر بن عبـد مَناهِ بيْنَ الكثيبِ الفَـرد فالأمواهِ

ومنهـا :

سهم بن أوس فى ضمانك واثقا أن لستَ بالناسى ولا بالساهى
أجزِلْ له الحظّين منك وكن له ركنا على الأيام ليس بِواهِ
بِولايتين : ولايـةٍ مشـهورة فى كُورَةٍ وولاية بالجـاهِ الأبيات

و يذكر من أسرته ابنـه تمّاما . وقد عاش تمام بعـده، ورأينا فيما سبق شيئا من أحاديثه عن أبيه ، و يقول إنه كان يقول الشعر ، ولكن شـعره كان ضعيفا . و ينقل لنا أنه لمـا ولى محمد بن طاهر خراسان ، دخل الناس لتهنئته، فكان فيهم تمّام بن أبى تمام الطائى ، فأنشده :

هَنّاك ربُّ النـاس هنّاكـا ما مِن جزيل المـال أعطاكا
قرّتْ بمـا اعطيتَ ياذا الحِجَا والبـاسِ والإنعـام عَيْناكـا
أشرقتِ الأرضُ بمـا نلتـه وأورق العـودُ لِنَجْـوا كا

فاستضعفت الجماعة شعره، وقالوا : يا بُعد ما بينه و بين أبيه ! فأغرى محمد بن طاهر به شاعرا، فقال له شعرا فى آخره :

فهاكَ إن شئتَ به مِدحةً مثـلَ الذى أعطيتَ أعطاكا

فقال تمّام : أعز الله الأمير، إن الشعر بالشعر رِبًا، فاجعل بينهما رضْخا من دراهم، حتى يحل لى ولك . فضحك محمـد وقال : إن لم يكن معـه شعر أبيـه ، فمعه ظرف أبيـه ؛ أعطوه ثلاثة آلاف درهم[1] .

ولكن ديوان أبى تمـام يحدثنا عن غير هذين، فيذكر لنـا أن زوجته ماتت فرثاها، فقـال :

جُفوفَ البِلى أسرعتَ فى الغُصُنِ الرَّطبِ وخَطْبَ الردى والموتِ أبرحْتَ من خَطبِ
لقـد شرقتْ فى الشـرقِ بالمـوتِ غادةٌ تعـوضْتُ منهـا غُرْبة الدارِ فى الغـربِ
وألبسَنى ثـوبا من الحـزنِ والأسى هـلالٌ عليـه نسـجُ ثـوبٍ مِن التُّرب
أقـولُ وقـد قالـوا استراح بموتها من الكربِ رَوْحُ الموت شرٌّ مِن الكرب

(١) كتاب أخبار أبى تمام الورقة ١٢٧

لقد نزلتْ ضَنكا من اللحدِ والثَّرى ولو كان رَحْب الذرعِ ما كان بالرحبِ
وكنت أرجّى القُربَ وهى بعيدة فقد نُقلتْ بعدى عن البُعدِ والقربِ
لها منزلٌ تحت الثرَى وعهدتها لها منزل بين الجوانح والقلبِ

ولا نستطيع أن نعلم متى ماتت هذه الزوجة، ولكن فى قوله :

لقد شرِقت فِي الشرق بالموتِ غادة تعوضْتُ منها غُربة الدار فِي الغربِ

ما يدل على أنها ماتت فى المشرق، فى وقت كان هو فيه بالمغرب . وأبو تمام يدعو مصر والشام بالمغرب، فيقول :

خلّفت بالأفقِ الغربي لِي سكنا قد كان عيشى به حلوا بحُلوانِ

فإذا صح هذا، كانت وفاة زوجته هذه بالمشرق فى زمن كان هو فيه بمصر أو بالشام، ولكنه نزل الشام مرارا ، فلا نعرف فى أى هذه المرات ماتت زوجته . وسنراه بعد فى مصر يتحدّث عن حب له بالإسكندرية ، ولاحظت هناك أنه قد تغيرت نغمة غزله ، بعد خروجه منها ، وقصده إلى الرقة ، مما جعلنى أرجح أنه كان تزوج وهو بمصر . ولا نعلم أكانت زوجته هذه التى يرثيها ، هى التى تزوجها فى مصر ، أخذها ثم تركها فى المشرق، أم هى غيرها ، تزوجها من هنالك . وأغلب الظن أنها زوجة ثانية .

* * *

أما أبناؤه فقد كان له غير تمّام، وقد ماتوا فى حياته ، ففى ديوانه أنه قال يرثى ابنا له :

كانَ الذى خفتُ أن يكونا إنا إلى الله راجعونا
أمسى المرجّى أبو علىّ موسّدا فى الثرى دفينا

فهو يسميه أبا على، وأبو على كنية من اسمه حسن .

وهو فى مكان آخر[1] يرثى ابنه محمدا رثاء أوله :

لا يُشْمِتِ الأعداءَ بالموتِ أننا سنُخْلِي لهم مِن عَرْصةِ الموتِ مَوْردا

ومنها يقول :

تتابَعَ فِي عام بَنِيّ وإخوتى فأصبحتُ إنْ لم يُخلِف اللهُ مفردا

(١) كتاب أخبار أبى تمام، الورقة ٢١١

وهـذا البيت يفيـد أنه مات أبناؤه وأخوته جميعا فى عام واحد ، فأصبح مفردا ؛ و يقول : إن لم يخلفنى الله ابنا فسأظل كذلك . ولقد مضى أن آبنه تماما قد عاش بعد موته ، فكأن هذه القطعة التى قيلت فى رثاء آبنه محمد ، كانت قبل مولد آبنه تمام ؛ أما متى ولد آبنه ، فذلك مالا نعرفه . وكأن أخاه سهما الذى سبق الحديث عنه ، قد مات أيضا قبل مولد تمام آبنه . ولأبى تمام فى ديوانه رثاء فى أخ له ، قد يكون سهما ، وقد يكون غيره ، قال فيه وقد حضر وفاته :

إنى أظن البِـلى لو كان يفهمُه ... صَـدَّ البِلى عن بقايا وجهِهِ الحسنِ
يا يومَهُ لم تدعْ حسـنا ولا أدبا ... إلا حكمت بِهِ لِلّحْـدِ والكفنِ
لله مُقلتُـهُ والموت يكسـرها ... كأنَّ أجفـانه سَـكْرى مِن الوَسنِ
يردّ أنفاسَـهُ كَرها وتعطِفها ... يـدُ المنيـة عطْفَ الريح لِلغصنِ
ياهولَ ما أبصرتْ عينى وما سمعتْ ... أذنى ، فلا أبصرتْ عينى ولا أذنى
لم يَبْقَ مِن بدنِى جـزء علمتُ بِهِ ... إلا وقـد حلّه جـزءٌ من الحَـزَنِ
كان اللحـاق به أهنَى وأحسنَ بِى ... مِن أن أعيش سقيم الروح والبدنِ

وفى الرثاء ما يوحى أنه كان صغير السن ؛ ولعله يتفق مع ما يفهم من حكاية أخيه سهم السابقة .

أما أبوه أوس فلا نعرف عنه شيئا ، إلا ما ذكرته فى أول كلامى على حياة أبى تمام ، وليس فى ديوان أبى تمـام رثاء له . وذلك يدل على أنه لم يمتْ وأبو تمـام يقول الشعر ، أو أنه ظل حيا حتى مات أبو تمام . والثانية أضعف ، فما سمعنا فى شعر أبى تمام كله شيئا عن أبيه : وليس فى كل ما هو معروف فى حياة أبى تمام إشارة اليه .

* * *

هذه أسرة أبى تمـام ، على ما يمكن أن نعرف . ولا شك فى أن هناك آخرين ؛ فإنا لم نسمع شيئا عن أمه ، وليس فى تاريخ الأشخاص عند القدماء ما يقصرون فيه تقصيرهم فى هذه الناحية .

وكان فى بيت أبى تمـام جَوارٍ وفتيان ؛ فقد رأينا كيف كان يرافقه حين دخل البصرة لثانى مرة أربعة وعشرون فتى .

* * *

ولكنه بعد هذا كان مرزّأً فى أهله ، مات أبناؤه فى حياته ، فلم يبق منهم إلا تمّام ، وهو آخرهم على ما بدا فى بيته السابق . ومات أبوه وهو صغير السن ، و يظهر أن أمه فارقته أيضا طفلا . و إنّا لنتبين فجيعته فيهم ، وإحساسه فراقهم ، فى أبيات يرثى بها جارية له :

أَلَمْ تَرَنِي خَلَّيْتُ نفسي وشأنَها ولم أحفِل الدنيا ولا حَدَثانَها
لقد خَوَّفتْنِي النائباتُ صُروفَها ولو أمّنتْنِي ما قبِلتُ أمانها

ولذاك خرج أبو تمام من الشام طفلا آبن سبيل، هائما على وجهه، ليس له من يرعاه، فألقته المقادير بمصر طفلا، عليه أن يعمل ليعيش، وعلى غصنه الرطب الناعم، وشفتيه الطفلتين الباسمتين أن تلقى الحياة القاسية عابسةً. فعمل، وصهرت أحداث دهره نفسه، فأخرجت لنا منه هذا الشاعر، الذى نقرؤه فتهتز نفوسنا بشعره.

obeikandl.com